هناك عالم محسوس نعيش فيه، وهو الكون.

وهذا الكون نعرف بعض أسراره، ولكن لا نعرف من هذه الأسرار إلا أقل القليل. فنحن نعرف أننا نعيش فى جزء من هذا الكون.. أو على تلك الكرة الأرضية السابحة فى الفضاء فى فلك الشمس.. ونعرف أن بها أنهارًا وجبالا وسهولا.. وأرضًا صالحة للزراعة، وصحراء لا تنبت إلا الكلأ.

ونعرف ما يحيط بها من غلاف جوى ومكوناته. ونعرف أن الحشرات والحيوانات قد سبقت الإنسان فى وجودها على الأرض!

ولا يعرف الإنسان من تاريخه الطويل إلا فترة زمنية قليلة إذا ما قيست بعمره على الأرض! ورغم التقدم العلمى المذهل الذى نعيشه فى هذا العصر، وما تبع ذلك من تقدم تكنولوچى ضخم. ورغم أن الإنسان يحاول أن يسبر أغوار الكون، فوضع أقدامه على أرض القمر، وفتت الذرة، وعرف كثيرًا من أسرار الإلكترون؛ فإنه ظل عاجزًا عن معرفة أسرار نفسه. كما ظل عاجزًا عن فهم ما يحيط به من أسرار الكون.

لا الطب.. ولا علوم النفس والاجتماع.. ولا مختلف ألوان المعرفة أحاطت بهذه المعجزة الإلهية فى الإنسان. إنه لا يزال يجهل الكثير والكثير جدا عن أسرار جسمه الإنسانى. ولا يزال فى نفس الوقت يجهل كثيرًا من الدوافع التى تحركه، والغرائز التى تدفعه إلى سلوك معين.. فكثرت النظريات النفسية، وتباينت وهى تحاول أن تفسر كل مظاهر حياته الباطنة والظاهرة!

وإذا كان العلم مجاله دراسة ظواهر الحياة المادية، وكانت معرفتنا لهذا العالم تأتى عن طريق الحواس، فإن هناك أمورًا لا تُدرك بالحواس، ولا بالتجارب المعملية، ولكن بالحدس.. بالبصيرة. ومن هنا كان الاهتمام بالعوالم الخفية التى لا نعرف عنها إلا قليلا.

وجد الإنسان ـ فى الحضارة الغربية أو الشرقية على السواء ـ أن وراء المادة مظاهر لا يمكن إدراكها وأنه يولد فى داخله فطرة سليمة تشير إلى أن وراء هذا العالم المحسوس عوالم غير محسوسة، وأن وراء هذا الكون الخالق الأعظم الذى أوجد الكون وما فيه من العدم، وأن من مخلوقاته ما لا يقع تحت إدراك الحواس الإنسانية،

وفوق العقل الإنسانى وفوق الإدارك البشرى. ولكن هذه المخلوقات موجودة بالفعل.

- هناك الروح.. التى لا يعرف كنهها إلا خالقها سبحانه وتعالى.

- وهناك عالم الملائكة.

- وهناك عالم الجن.

- وهناك النفس الإنسانية التى ألهمها الله فجورها وتقواها.. و.. هناك.. وهناك بعد هذه الحياة.. الحياة الآخرة.. وما فيها من نعيم أو جحيم. وهذه العوالم المحيطة بنا ولا نراها لا يمكن تعرُّفها بالأساليب المعملية مهما اجتهد أصحابها.

صحيح أن الإنسان حاول أن يعرف الكثير عن هذه العوالم، وعندما لم يستطع أن يعرف أسرارها لجأ إلى الأساطير والخرافات، وغرق فيها حتى أذنيه.. وهو يحاول أن يعرف أسرار الروح وعوالم الجن والملائكة وغير ذلك من المخلوقات التى يصعب تعليلها.

فكيف نعلل مثلا ظاهرة السحر؟ وكيف نعلل ظاهرة الحسد؟ وكل هذه الظواهر موجودة ونعترف

بها، ونجد لها تطبيقات فى دنيا الناس، وإن كان من الصعب تعليلها علميا.

وصحيح أيضًا أنهم يدرسون الآن فى الجامعات الأوربية والأمريكية ما أطلقوا عليه «الباراسيكولوچى» وأننا نسمع عن جمعيات فى أوربا وأمريكا لتحضير الأرواح، وأن هناك أسماء لها مكانة علمية مرموقة لها اهتمامات بتلك الدراسات، وبعض هذه الأسماء حصل على جائزة نوبل العالمية، وبعضهم الآخر أساتذة كبار فى تخصصاتهم العلمية فى أرقى الجامعات الأوربية والمصرية أيضًا.

وكل هذا المحاولات إنما ترمى إلى الوصول إلى الحقيقة.. حقيقة الكون الذى نعيش فيه، وحقيقة أنفسنا.

ما نحن؟ وما دورنا فى الحياة؟

وهل للإنسان حياة أخرى غير هذه الحياة الدنيوية؟!

وإذا كانت الدراسات المختلفة فى عالم الأرواح والعوالم الخفية لها إيجابيات، فإن أهم هذه الإيجابيات أن الإنسان له رسالة، وأن الحياة الدنيا

لها امتداد فى العالم الآخر؛ حيث يجازى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته. وحيث الخلود فى عالم لا يعرف الفناء، ولا ينطبق عليه أحداث الزمان.

عالم فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وفى رحلتنا عبر هذه العوالم الخفية سوف تكون لنا وقفات.. فى محاولة للاقتراب من هذه العوالم من خلال تصورنا لما أفصح عنه كتاب الله -سبحانه وتعالى- بعيدًا عن الأوهام والخرافات. وبعيدًا عن الإثارة. وبعيدًا عن الجدل العقيم والسفسطة التى لا جدوى منها.

وليس هناك أصدق من كتاب الله.

فالله - سبحانه وتعالى - محيط بكل شىءٍ. عالم بكل شىءٍ.. مدرك لكل شىءٍ.

وعندما يكون دليلنا كتاب الله، فإن المعرفة بتلك العوالم تكون معرفة يقينية لا ظنية.. حقيقية لا متوهمة.

إنها رحلة بالغة الشفافية والعمق والمتعة.

مأمون غريب